الحبـو إلي الجنـة

عبد الرحمن بن عوف

بقلم : فـخـــري فـــايـد

قال رسول الله – صلي الله علية وسلم – لعبد الرحمن بن عوف :

" **يا ابن عوف ...**

" **انك من الأغنياء ...**

" **وانك ستدخل الجنة حبوا فاقرض الله ...يطلق ساقيك .** "

ملامح الشخصية

هو : عبد الرحمن بن عوف.

نسبه: كان يسمي في الجاهلية عمرو آو عبد الكعبة ولما اسلم سماه الرسول صلوات الله علية وسلامة عبد الرحمن ، وهو ينتسب إلي عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن لؤي القرشي الزهري ، وهي نفس القبيلة التي تزوج منها عبد الله ، بن عبد المطلب آبو الرسول صلوات الله علية وسلامة ، فأم الرسول صلي الله علية وسلم هي آمنة بنت وهب بن مناف بن زهرة.

إسلامه: كان في تجارة له باليمن فبشرة يهودي بظهور الإسلام ، وبعث نبي في مكة من بني هاشم وبني زهرة هم أخواله ، وكان عبد الرحمن بن عوف دائم البحث عم دين ينتمي إليه ، لعدم اقتناعه بعبادة قومه للأصنام ، فلما سمع ما سمع سارع بالعودة إلي دياره بمكة وعرف من آبي بكر الصديق يبعث محمد (صلي الله علية وسلم) ، فاتجه إليه وأعلن إسلامه فكان من العشرة الأول السابقين إلي الإسلام. وظل منذ إسلامه لا يفارق رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ألا للضرورة الملحة ، ومنها أنه هاجر إلي الحبشة مع المهاجرين الأول ، ثم هاجر ثانية إلي المدينة ، وظل هناك إلي أن لحق الرسول صلوات الله عليه وسلامه بالمهاجرين ، أسس المدينة دولة الإسلام .

صفاته: كان تاجرا قنوعا ، كريما علي نفسه ، فأبي آن يقاسم سعد بن الربيع– وهو أخوه في الإسلام – ماله أو زوجته ، فلقد عرض عليه سعد – وكان من أثرياء المدينة – أن يعطيه نصف ماله ، وان يطلق له احدى زوجاته ليزوجها لعبد

الرحمن بن عوف ، ولكن عبد الرحمن رفض كلا العرضين ، ودعا له بالبركة فى المال والآهل ، وطلب أن يدله علي سوق المدينة ، فتاجر في بسيط الأشياء حتـــى عادت إلية أمواله وتجارته التي استولت عليها قريش بالباطل حين أعلن إســـلامه . وأصبح من أثرياء المسلمين.

كان أيضا من المشهورين بإتقان رمية الرمح ، ولقد تعلم رملا الرمح من أهــل الحبشة خلال رحلاته للتجارة هناك .كما كان فارسا مرموقا بين المقاتلين القرشين.

أعماله: نهل من تعاليم الآلام في ظلا الرسول الكريم صلوات الله علية وسلامة، وبالقرب منة ، فتعلم من خلقة الشريف خلق القرآن ، ولذلك كان يضيع كل قدراته وإمكانياته في سبيل نصرة دين الله ونصرة رسوله الذي جاء بالحق نــورا وهــدا ورحمة بالعالمين. وكان يتبرع بماله للمسلمين ، ويخرج الزكاة أضعافا مضاعفة ، ويشتري العبيد من أيدي الكفار ليحررهم ، ويشارك في مجلس الرأى والشورى ، ويحارب وقت الحاجة ألي الحرب طالبا الشهادة في سبيل الله ، فشارك في غــزوة بدر الكبرى ، ثم كانت غزوة أحد....وكانت الواقعة.

الـــــواقعة :

وكانت الواقعة آو المأساة في حياة عبد الرحمن بن عوف هي غزوة أحد.

وذا أردنا أن نتحدث عن هذه الغزوة فلا بد أن نبدأ بالحديث أولا عن أسبابها :فهى نتيجة لغزوة سبقتها ، وهي غزوة بدر ، حيث استطاع حوالي ثلاثمائـــة آو يزيــد قليلا من المسلمين أن ينتصروا علي أكثر من آلف من المشركين ، وقتلــوا مــنهم كثرة من السادة والأشراف بعون من الله ، وصدق في الجهاد ، وقد أبلي فيها عبــد الرحمن بن عوف بلاء حسنا . ولقد روي عنة انه قال: رأيت يوم بدر رجلــين ، وقف أحدهما عن يمين رسول الله والآخر عن بسارة يقاتلان اشــد القتــال ، ثــم رجلان من خلفه ومن إمامة ، ولقد انزل سبحانه وتعــالي الملائكــة تقاتــل مــع المسلمين وتنصرهم علي الكفار ، وفي هذه الغزوة اسر عبد الرحمن رأس الكفــر أمية بن خلف وابنة ، وكانا يشتدان في تعذيب المسلمين بمكة. ولقد

أستغفر بلال المسلمين لقتلهما فقتلوهما :وقد يسأل سائل :

- ولماذا بلال يفعل هذا.

والرد هو إن بلالا كان عبدا لامية ، وحين عرف أمية بإسلامه كان يعذبه عذابا شديدا، لهذا كله استنفرت قريش قبائلها ومقاتلها ، وخرجت النسوة ، وخرج حتى من لم يخرج معهم في غزوة بدر الأخذ بثأر من هلكوا أو أسروا.

ولقد اختار الرسول الكريم أن يكون القتال عند جبل أحد حيث احتل القناصة من رماة النبل أماكن مرتفعة من الجبل ليواجهوا بنبلهم خيل المشركين ويحموا ظهر المسلمين ، وكانوا خمسين رجلا ولي آمرهم عبد الله بن جبير. ووقف عبد الرحمن بن عوف بجانب رسول الله يستمع إلي توجيهاته للرماة ، وكانت أوامره لهم صلوات الله عليه وسلامه :

- احموا ظهورنا لا تأتونا من خلفنا ، وارشقوا بالنبل فان الخيل لا تقدم علي النبل . أنا لا نزال غالبين ، ما ثبتم في أماكنكم ، وان رأيتمونا نقتل ، فلا تنصرونا ، وان رأيتمونا غنمنا فلا تبرحوا حتى أرسل لكم ... اللهم أني أشهدك عليهم .

وبدا القتال بطلائع رجل لرجل ، وانتصر المسلمون فكلما ظهر فارس من الكفار للقتال ، خرج إلية فارس من المسلمين ينازله وينصره الله فيقتله ، أصيب كفار مكة بالشؤم ، فلقد كان من عاداتهم ضرب الرمل والقداح ، والتفاؤل والتشاؤم من حركة الطير وغيرها فلما رأوا انتصار المسلمين وسقوط فطاحل فرسانهم قتلي ، داخلهم اليقين أن نذير شؤم وهزيمة ، فلما التقى الجمعان أمل فيهم المسلمين القتل ، وراحت نساؤهم تولول ، ورجالهم يولون الأدبار ، وكتب الله عليهم الخزى ، إلي أن جاءت لحظة الاختبار.

ووسوس الشيطان لمن كانوا علي الجبل: أن انزلوا فاغتموا ، فلقد انتهى دوركم ، وحان لكم أن تجنوا الثمار .

- وعارضهم عبد الرحمن بن الخبير ، وذكرهم بتعليمات الرسول ، ويوجب طاعته : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول)

ولكن ليرحمنا الله من وسوسة الشيطان ....

ومن همس الشيطان ...

ومن صراخ الشيطان ..

ومن شر النفس الأمارة بالسوء ...

لان هذا لو تمكن من هلكنا ، وفشلنا وهذا ما حدث ...

ترك اغلب الرماة أعلي الجبل ...
استجابوا إلي وسوسة الشيطان ....
وأنساهم أن يستغيثوا الله من الشيطان الرجيم ...

فلقد اشتروا أغراء دنياهم ..
ونسوا أن الآخرة خير أبقي ...
فكان ...لابد أن ينزل الجزاء بالكل لخطيئة البعض .
وحتى يستوعب الدرس عبر الأجيال ...
ويستدير خالد بن الوليد – وكان ما زال علي كفرة – وكان قائدين من قـوادهم البارزين والمشهود لهم بالقوة والدهاء ...وتلمح عينه الخبيرة خلو الجبال مـن الرماة ، فيستدير صارخا بالكفار أن يلتفوا حوله، وان يعيدوا ترتيب صـفوفهم، ثم يندفع إلي شعاب الجبل فيقاتل عبد الله بن جبير ومن معه ممن ثبتوا أطاعوا ، وكانوا اقل من العشرة عددا، وتنهزم الـشجاعة أمـام المفاجـأة والكثـرة، ويستشهدون جميعا. وينزل خالد بجنوده من فوق الجبل ليباغت المسلمين مـن خلفهم ، وقد كانوا مشغولين بجمع الغنائم ، ومن أمامهم يعود مـن بقـي مـن قريش للهجوم ، فينحصر المسلمين بين الهجوميين ، وتأخذ منهم المفاجأة كـل مأخذ ، حني بصل الحال ألي لان يحارب المسلم أخاه وهو لا يـدري ، ويفـر ضعاف الأيمان من الميدان .
وتتحول الأمور وتتبدل ..
فإذا المهزوم ينتصر وإذا بالمسلمين يثخنون بالجراح ..
وإذا بالمنافقين يفرون ..
وإذا بالصرخة تشق القلوب شقا لتصهرها وتدميها :
محمد قتل ..
صرخة كافر : حاقد ، فرح ، شامت
زلزلت الأفئدة وهي لم تزل بعد غضة الأيمان .
وانزل الله رحمة بالمخلصين في إسلامهم فأنامهم للحظات ..
ثم كانت الصحوة ، وكان الإجماع علي آمر واحد ، وقرار لا رجعة فيه:
– أن كان الحبيب قد مات ...فلماذا لا نموت علي ما مات علية رسول الله ؟؟

وتحول القتال ألي شراسة ..

فأما النصر أو الشهادة ..

ولا سبيل إلا ذلك السبيل ..

ومن بين هؤلاء عبد الرحمن بن عوف ..

انتفض بطلنا من جلسته في ظل الجبل ، فلقد كان جريحا ، وان جرحه ينـزف فنزل عن فرسه يحاول إيقاف نزل الدم ، ولكنة حين سمع ما سمع ، لـم يعـد هناك سبب للخوف من النزف ، ولا للخوف علي الحيـاة ، فـالموت أفـضل بجانب رسول الله .

تساند ابن عوف علي رمحه متحاملا حتى استطاع أن يركب فرسه وصرخ من قلبه صرخة زلزلت لقوتها وصدقها الكفار :

الموت لكم يا أعداء الله.

واندفع ابن عوف يطعن عن يمين وشمال برمحه فيتساقط المشركين صرعي .

وكان يناله ما يناله من آذي ومن جروح وهو غير شاعر بشيء مما يحدث لـه ، كل ما يهم أن يهزم أعداء الله والرسول .

وحين كسر رمحه ، امتشق سيفه وراح يضرب به كل من يقابله ، حتى أصبح وقد أحيط بالكفار من كل جانب ، يطعن هذا فيطعنه ذلك ، وتكاثروا من حولـه وهو لا يكف عن قتالهم ، وهم في غيظ شديد يتساءلون :

ما بال المسلمين ، الرجل منهم بمائة أو يزيد ...؟

شهادة لم يكن الكافرون يستطيعون كتمانها ، فهذا الـذي يقـدم عليـة أبطـال المسلمين يفوق كل حدود البطولة والفداء.

وها هو ذا عبد الرحمن بن عوف أحد هؤلاء الأبطال الذين ارتضوا الـشهادة ، فلقد كانت أحب إلية من الحياة الدنيا .

وحين استدار عبد الرحمن بن عوف ليواجهه كافرا أراد أن يطعنه من الخلف ، قابلة أخر بضربة سيف في ساقه ، وثالث يضربه رمح في صدره أطاحت بـه من فوق رأسه ، فسقط علي الأرض مخضبا بدمائه وقد غشي عليه .

وكانت رحمة من الله ...

فالإنسان له طاقة للاحتمال .....

وقدرة علي الصمود ...

ولقد استنفذ عبد الرحمن بن عوف كل قواه ، لما نزفه من دماء ، ولما بذلة من جهد .

فكانت غشيته رحمة له...وإنقاذا لحياته.

فلقد ظنه المشركين قد مات وهم يفحصون من بـــأرض المعركـــة ، ويقتلـــون الأحياء من قبل أن ينسحبوا عائدين إلي مكة ، ودون أن يدخلوا المدينة.

وبعد انسحابهم بدا المسلمين فحص من سقطوا في ارض المعركة ، وفوجئـــوا ببطلنا ما زال حيا ، فحملوه إلي دارة ، وأرقدوه في الفراش ، وجبروا ساقية ، وعالجوا جراح جسده الذي لم يبق فيه مكان إلا وبه جروح ، وفوضوا أمـــرهم لله فلقد كانت حالته في غاية السوء.

وشاء الله أن يكتب له النجاة .

فهو ذا عبد الرحمن بن عوف ، وبعد أيام وأيام يفتح عنيه .

وكان أول من سأل عنة ، رسول الله صلوات الله علية : ماذا حدث له ؟

فقد كان عبد الرحمن حين أفاق يهيأ له أن كل ما جدث كان كابوسا ....

لكن ساقه الكسيرة ، وجسده المثخن بالجراح ، يؤكد أن كل ما رآه كان حقيقة ، فما هى الحقيقة فيما تناهي إلى سمعه من أفـــواه المـــشركين حـــول استـــشهاد الرسول ؟

وكان الجواب حاضرا ، فها هو رسول الله صلوات الله علية وســـلامة بجانبـــه يطمئن علية وبوجهه أثر جرح جديد لم يلتئم بعد. وسالت دموع الفـــرح بنجـــاة الحبيب ، وهانت علي عبد الرحمن كل ألامه ، أراد أن يـــنهض ،لكـــن ســـاقه الجريحة متعته ، وجسده العليل لم يساعده . ويسمع صوت الحبيب يقول له :

استرح يا أبا محمد...

وعند سماعة لكلمات رسول الله (صلي الله علية وسلم) شعر عبد الرحمن أنـــه اطمأن ، وسرت الراحة في جسده تغمر بالطمأنينة

وجاءته أصوات الصحابة من عمق بعيد

- لقد نام عبد الرحمن ، لكنة لم ينم ، فلقد دارت به الذكريات ، وعادت به حيث نشأ بأرض مكة ، وكيف كبر وهو يري الآهل والأصحاب يلعبون ويمجنـــون ويعبدون الأصنام ، كان يتأملهم وهو غير راض أو سعيد بفعلهم ، فكثيرا مـــا جلس وسط الصحراء وحيدا يتأمل قدرة الله صانع هذا الكون سبحانه وتعالي.

- يري النجوم تبرق فيري فيها علامات رحمة من الله ، ترشد الباحث والحيران وتحول بين الإنسان والتيه في الصحراء الجزيرة العربية ، التي هـي معقـل الموت في كل حبة رمل من رمالها المترامية عن يمين وشمال . وكلما زاد به تأمله في المخلوقات والخالق ، اشتد علية سؤال : هل اللات أو العزي أو هبل أو غيرها من الأصنام تستطيع شيئا أمام هذه الحكمـة فـي الـصنعة وكيـف تستطيع ويد من يعبدونها هي التي صنعتها ؟

هل يستطيع مخلوق أن يصنع خالقة ؟

أو عابد يصنع معبود ؟

أم المنطق ورؤية العقل يقولان : أن الخالق هو من يصنع المخلوق ، والمعبود يسود العبد ويفوقه ، يسيرة ويقول له : كن فيكون ...

لذلك كله عبد الرحمن الحياة فى مكة ، فلم يشارك أقرانه في مجونهم ، وانشغل كل الانشغال بتجارته فربحت ، وان كان خلال سـفرة بـين الـيمن والـشام والحبشة لا يكف عن البحث بين الأديان عن طريق يوصله إلى يقـين يـريح فكره الحائر حتى قال لصديقة اليهودى باليمن ما قال.

في رحاب الدين الجديد

عرفت نفسه طريقها للسكينة والراحة ...

ووجد في محبة رسول آل(له صلي الله علية وسلم) معاني جديدة كان يبحث عنهـا حوله فلم يجدها في أحد ، فأحب رسول الله صلوات الله علية وسـلامة حبـا لـم يعرفه أحد من البشر ، فظل لصديقة يسأل ويتعلم منة في كل يوم جديـد ، وكـان هذا العلم يزيد في شخصية عبد الرحمن قوة ، ويقوم فيها ضـعفا ، فيـزداد حبـة لرسول الله حبا فوق حب .

ودون ان يدري انفلتت من آهة حب لرسول الله :

- وا محمداه ... وا حبيباه !

وانحنت زوجنه علية تهمس له :

- ابنك محمد بخير يا عبد الرحمن فلم يدخل المشركين المدينة

ويفتح عبد الرحمن عينيه وينظر لزوجته معاتبا :

- والله ما استصرخت إلا الحبيب الذي افتديته بالولد والروح والمال ، فدلك آبى وآمى يا رسول الله !!

وتشعر زوجة عبد الرحمن بخجل ، وتذكر ما قالته آم عامر الاشهلية حين عاد رسول الله صلوات الله علية وسلامة إلي المدينة بعد غزوة أحد وقد استشهد فيها أبيها وأخيها وزوجها وابنها ، وبرغم هذا فقد قالت من صميم فؤادها ، وهي فرحة برؤية رسول الله ، وحين واساها علية الصلاة والسلام في مصابها :

- بأبي آنت وآمي يا رسول الله ، لا أبالي ما دمت قد سلمت نم عطب ، وكل مصيبة من بعدك صغيرة .

وهكذا كان موقف كل نساء الشهيد زوجا أو ابنا آو أخا .

وهكذا يا آم محمد تخونك الفراسة .

ألا تعلمين كل الحب الذي في قلب زوجك ناحية رسول الله ؟!

ألا تذكرين قولة

- لا طاعة ألا لله ورسوله ...

ولا حب في قلب المؤمن يماثل حب الله ورسوله..

وتمر الأيام.

فهل تنتظر غير الارتفاع عن كل مصائب الدنيا ، ممن هو مثل بطلنا عبد الرحمن بن عوف ؟

هل من العقل – وقد تكشفت لنا حقيقة البطل – تداخلنا ذرة من شك فى كونه سينتصر على ما أصابه ؟

التاريخ يذكر......

والمؤرخون يذكرون أن عبد الرحمن بن عوف الصحابى الجليل المبشر بالجنة قد خلفت له موقعة أحد عاهتين :

تحطمت أسنانه فأصبح اهتم .

وكسرت ساقه فصار يعرج .

فكيف واجه ما أصابه ؟...

لقد خلا بن عوف إلى نفسه يتأمل ساقه التى تخذله كلما أراد الوقوف عليها ، وقرر أن يتساند علي رمحه ويتحرك ليحرك عضلاته التي كاد الجفاف آن يصيبها ، أو قل أن الضعف فعلا قد فعل فعلة فيها، فأضعف العضلات . وفى

إصرار وقوة ظل يواظب علي تمرينه حتى أصبح يحبوا عليها حبوا ، فقرر إن يخرج ويحضر زواج عثمان بن عفان رضوان الله علية من أم كلثوم ، ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وحين رآه بعض الخبثاء من يهود أراد أن يتشفى فيقال له :

- هكذا أنت يا بن عوف . لم تعد تصلح ألا لحضور العرس والمجالسة على الطعام .

كلمات جرحت كرامته.......

لكنها أبدا لم تهزمه

أو تحبطه ...

لكنها حفزته وقوته ..

- أأعرج آنا ؟ وما بال الأعرج لا يقاتل ويكون أشجع الشجعان ؟

ومن هذه العقيدة ، وبالإصرار .... والتدريب اليومي والمران استعاد بن عوف قدرته علي الحركة وسرعة المناورة . وحين رأي رسول الله صلوات الله علية وسلامة شدة رغبة في القتال ، قرر آن يولي عبد الرحمن بن عوف قيادة سرية من بين جندها كبار الصحابة للتوجه إلى ((دومة الجندل))، لتأديب أهلها من قطاع الطرق ، لاعتدائهم علي قوافل المسلمين العائدة بتجارتهم من الشام ، بل البسه رسول الله صلوات الله علية وسلامة بيديه الشرفتين عمامة سوداء وسلمه الراية قائلا له :

- خذ الراية يا بن عوف .... واذهب وقاتل المشركين ، ولا تقتل طفلا أو امرأة أو شيخا ، ولا تقطع شجرة ... وإياك آن تمثل بمن يقتل .

وقاد عبد الرحمن الجيش بخبرته بمثل هذه الطرق وبأهل تلك الديار ، لسابق تجارته مع الشام .

سار الجيش خمسة عشر يوماً ، حتى أصبح علي مقربة ((دومة الجندل)) فعسكر خارجها ، أرسل عبد الرحمن بن عوف الرسل أهلها يدعونهم للدخول في الإسلام أو الحرب .

ولكنهم لم يستجيبوا لهذا آو لذلك ، أرسل إلى رسول الله يخبره ويستشيره ، فعاد من حمل الرسالة بالبشارة من رسول الله صلوات الله علية وسلامة بان

الله سينصرهم ويفتح عليهم ((دومة الجندل)) ، وان علي عبد الرحمن أن يتزوج من تماضر ابنة زعيم ((دومة الجندل)) عند دخولهم الإسلام .

وحقق الله وعده

في اليوم الثالث خرج زعيم القوم ((الأضبع بن عمر بن ثعلبة بن ضمضم الكلبي)) رافعا راية السلام ومعه الشيوخ من قومه وأعلنوا إسلامهم ، وتزوج عبد الرحمن بن عوف من ابنته .

وهناك شيء يلاحظه قراءة السيرة ، وهو كون الصحابة في الغالب تزوجوا أكثر من زوجة ، والزواج هنا لابد من وقفة عند ذكره . فالزواج في الإسلام : مودة ورحمة وتواصل .

وفي أوائل عهد الإسلام كان يستخدم الزواج – كما هو ظاهرة هنا – لتأكيد أواصر المودة والقربى وصلات الرحم بين المسلمين القدامى والجدد ، ولنشر التسامح ، وتهوين الهزيمة علي المهزومين ، لأنة حين نتناسب فلا منتصر ولا مهزوم ، فلكل آسرة واحدة ورحم واحد .

عاد عبد الرحمن بن عوف إلى المدينة منتصرا ليجد اليهود يؤلبون القبائل التى لم تسلم ضد المسلمين، بل هم يتصلون بقريش ويعلنون لهم أن عبادة الأوثان اقرب لليهودية، من عبادة الله الواحد .

حقد ليس مثل حقد ...

وكراهية لا نهاية لها ...

وهل هناك اشد حقد آو اشد كرها ممن يغير في كتاب الله ، وينكر الحق وهو يعلم ؟

قبح الله اليهود...

وتشاور الرسول والصحابة ومنهم عبد الرحمن بن عوف ، فى طرق مواجهة الغزاة القادمين ،وأشار عليهم سلمان الفارسى بحفر خندق أمام الجزء المكشوف للمدينة ، وكان هو الرأى الذى حاز قبول الجميع .

وبرغم إحساس عبد الرحمن بن عوف بالتعب الشديد ، وبرغم الآلام الرهيبة التي كان يشعر بها تفتك بعظام ساقيه ، فإنه كان يتسابق فى حفر الخندق ورفع الأتربة وحملها علي ظهره أحيانا ، وعلي كتفة أحيانا أخري ولقد حول بعض

الصحابة أن يخففوا عنة ، فأشاروا علية أن يستأجر من يعمل بدلا منـــة فعنـــده المال، ولكنة قال لهم :

- وهل سيحملون عن أخطائي يوم الحساب ؟.. وأني بعون من الله أستطيع أنا اعمل، فلماذا لا يكون لي شرف العمل والعرق فى سبيل نـــصرة ديـــن الله ونصرة أهلي وعشيرتي ؟!

وحين كانت تتصل الأخبار من فرق الاستطلاع يقول آن عدد جيش المـــشركين يزداد ويزداد ليصل آلي عشرة آلاف مقاتل لقيادة آبي سفيان بن حرب ، كـــان عبد الرحمن بن عوف يؤكد لمن حوله مرددا في ثقة لا تهتز:

((كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة)).

وحين عسكر جند المشركين علي مبعدة من الخندق ، كان عبد الـــرحمن بـــن عوف يصر علي آن يكون في الصفوف الأولي في مواجهة الكفـــار ، وكـــان يذكر دائما بوعد الله الحق بنصر المؤمنين.

ولقد صدق الله وعدة : فدب الخلاف بينهم .

ثم اشتد الصقيع ...

وهاجت الرياح ...

وصغرت حبات الرمل في دوامات تحطم فى طريقها الخيام ، وبث الرعب في القلوب ، فتمردت خيل المشركين ، ونفرت إبلهم ، وانعكس هذا جميعـــه علـــي الكفار نذيرا بالشؤم والهزيمة والضياع ، فتصايحوا يطالبون قـــادتهم بالرحيـــل والعودة من حيث جاءوا ، وقد أخذهم الرعب كل مأخذ فاخذوا يتقافزون ، بـــل لم ينظروا الآمر بالرحيل وسارعوا بالفرار .

عزيمة لا تلين

والآن أليس من الضرورى أن تكون لنا وقفة ، لتلقي نظرة فاحصة متأملة علي ما حدث ؟.

فهاكم عبد الرحمن بن عوف وهو يعاني من آلام ساقه العرجاء ويرى قلة من حوله من جند ، يتقدم الصفوف منتظرا لقاء الأعداء واثقا في النصر.

فبماذا نسمي هذا الآمر؟ أليس دافعة الأمل ، والثقة في وعد الله ...؟

ثم هاهم في الجانب المقابل عتاة المحاربين ، وآلاف الجند المزودون بالمال والسلاح يفرون مذعورون أمام شؤم توهموه من هبوب ريح.

فبماذا نسمى موقفهم وسلوكهم ؟

أو ليس هذا بنقيض الأمل وهو اليأس ؟

فاليأس سمة متكررة وحال معروف للكفار ، فلا يضيع الإنسان ويحطم عزيمته قدر كفره وعدم إيمانه بالله .

.. وظل عبد الرحمن لن عوف يشارك في كل موقعة شارك فيها الرسول (صلي الله علية وسلم) إلي أن جاء يوم الفتح العظيم ، يوم فتح مكة ، وقد أصبح المسلمون قوة وأي قوة ، وأنة لمن يوم انتقام لابن عوف ممن كسروا ساقه ، وحطموا أسنانه ، وسرقوا أمواله وجعلوه يهجر داره .

شعر عبد الرحمن بن عوف بان ساقه سترد إليه سليمة معافاة من كل سوء ، وشعر بنيران الغيظ تتأجج في كيانه فتملوه بالقوة ، وتجعل خطواته تسبق خطي البعير .

ولكن ها هى ذى كل رغبة في الانتقام تتطاير ...وتتلاشى... وتزول أمام عفو الرسول صلى الله عليه وسلم عمن آذوه ، وقولته الكريمة السمحة لأهل مكة :

- اذهبوا فانتم الطلقاء ...

فماذا يكون يا ابن عوف قدر ما لحقك من أذي قريش أمام ما لحق برسول الله صلوات الله علية وسلامة ؟

وما حجم توعدك ووعدك لهم ، أمام غضبة سول الله صلى الله علية وسلم، يوم ((أحد)) حين رأى عمه حمزة رضوان الله عليه وقد مثل بجسده الطاهر، وتوعده المشركين برد الصاع إليهم صاعين ؟

ثم ها هو ذا صلوات الله عليه وسلامه – وحين أصبح الأمر جميعه في قبضة يده يعفو ويصفح حتي عن ((وحشي)) قاتل عمه حمزة ، وكل ما طلبه منه حين دخل في الإسلام، طالبا صفح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن لا يرى وجهه لرسول الله .

وحين يستقر الفتح ، ويدخل أهل مكة في دين الله أفواجا ، يعود عبد الرحمن بن عوف ألي المدينة يزاول تجارته ويزداد ربحه، ويكثر ماله ويكثر ، وبرغم قناعته

بالربح القليل ، فإن بركة الله كانت أكبر، فصار من أغنى أغنياء المسلمين ولقد كانت لعبد الرحمن بن عوف رضوان الله عليه فى ذلك قولة مأثورة :

- لقد رأيتنى، لو رفعت حجرا لوجدت تحته ذهبا أو فضة...

ولقد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

- يا ابن عوف ، انك من الأغنياء ، وانك ستدخل الجنة حبوا . فاقرض الله يطلق ساقيك .

شغل بال ابن عوف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية الانشغال ، وأرقة الأمر ، وحاول أن ينام فجفاه النوم ، ولم يجد أمامه غير أن يحضر جريدة ويسجل عليها تنازله عن كل أمواله للمسلمين ، ووصل به الأمر أنه كتب في وصيته قميصه الذي يلبسه، وحين ذلك نزل الوحى الأمين على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بقول الله تعالى أن :

- أقرئ منى عبد الرحمن السلام ، واقبل منة الجريدة ثم ردها عليه، وقل له قد قبل الله صدقتك وهو وكيل الله ووكيل رسوله يصنع فى ماله ما يشاء، وليتصرف فيه كما كان يتصرف فيه من قبل، ولا حساب عليه وبشره .

يا لله!!

رجل في الستين من عمرة ويزيد يتبرع بكل ماله ، ثم يرده الله تعالى عليه ! وهنا يصدق قول المولى عز وجل (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم)

فبطلنا كان يقسم ماله ثلاثة أقسام ، وكلها للمسلمين:

فثلث يقرضهم ..

وثلث يقضى عنهم ديونهم ..

وثلث يصلهم ويعطيهم .

ومن ذلك الوصل للأهل، والأصحاب انه أوصى بأربعمائة دينار لكل من حضر غزوة بدر، ولقد قبل سيدنا عثمان بن عفان – وكان ممن حضروا الغزوة – الأربعمائة دينار ، فلما سئل : لماذا يقبلها وهو من الأثرياء ؟

أجابهم رضوان الله علية :

- هذه صلة من عبد الرحمن لا صدقة...

ماله حلال صفو

إن مال عبد الرحمن حلال صفو .....

وإن الطعمة منه عافية وبركة ...

وقد بلغ ما انفق عبد الرحمن بن عوف فى هذا اليوم ابتغاء وجه الله ومرضاته مائة وخمسين آلف دينار .

ويقال انه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمع أن السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وأرضاها تذكرت قولة رسول الله صله الله عليه وسلم له :

ـ يا ابن عوف ، انك من الأغنياء ، وانك ستدخل الجنة حبوا . فاقرض الله يطلق ساقيك .

.. حين سمعت صوت قافلة لابن عوف جاءت بتجارتها من الشام إلى المدينة، وكان الصوت يرج الأرض رجا، فهي قافلة مكونة من سبعمائة ناقة، فأمر الرجال أن لا ينيخوا الإبل ، وقاد القافلة بنفسه إلي بيت أم المؤمنين رضوان الله عليها وعلى ألها، وقال لها :

- يا أم سمعتك تذكرين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشهدك أن هذه القافلة بأحمالها وأقتابها في سبيل الله عز وجل .

ووزعت أحمال السبعمائة جمل على أهل المدينة !

فهل هناك من تاجر لله مثل عبد الرحمن بن عوف ؟

وبرغم ثراء عبد الرحمن بن عوف الشديد فأنة لم يكف عن العمل بيده . فكان يسقي زرعه بنفسه ، فيحمل الماء من البئر للري . وكان متواضعا غاية التواضع ، يجلس بين عماله، ويلبس من نفس ملبسهم، حتى انك كنت لا تميزه من بينهم .

وبرغم ما أصحاب ابن عوف من هتم جعل مخارج الكلمات تلثغ ، فإنة كان يتردد في القول ولا يكف عن الدعوة وتدريس آيات القرآن الكريم لمن دخلوا

الإسلام حديثا ، بل وكان يتقدم وقت الحاجة فيؤم المصلين ، بل أن الرسول صلوات الله علية وسلامة أأتم به وقال صلوات الله عليه وسلامه فى ذلك:
انه لم يتوف نبي حتى يؤمه رجل صالح من أمته .
وكان عبد الرحمن بن عوف يتقدم بالنصح للخلفاء ، بل قد اختاره أبو بكر ليكون من أهل الشورى المقربين منه، ثم اختاره عمر بن الخطاب ليكون من مستشاريه، برغم أن عبد الرحمن بن عوف قد تخوف من تولية عمر أمور المسلمين لشدته، وقد صرح برأيه هذا حين استشارة أبو بكر الصديق رضوان الله عليهم أجمعين فيمن يتولي الخلافة بعد مماته.
ثم بعد مقتل عمر – رضوان الله عليه – اختير من بين الصحابة ليرشح من يتولي الخلافة، خاصة وقد أعلن رفضه لان يكون من بين المرشحين لهم وتم اختيار عثمان بن عفان ولازمه بن عوف إلى أن اختلفا فى بعض الشئون التى تخص المسلمين .

نهـــــاية متفـــردة

توفى عبد الرحمن بن عوف فى عهد عثمان بن عفان عن خمسة وسبعين عاما . وحين شعر بقرب أجله بكى وقال لمن حوله :

- إن مصعب بن عمير كان خيرا مني ، توفى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن له ما يكفن فيه، وأن حمزة بن عبد المطلب كان خيرا منى، توفى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يجد لـه كفنا، وإنى اخشى أن أكون ممن عجلت له طيباته في حياته الدنيا وأخاف أن احبس عن أصحابى لكثرة مالى .

وحين عرضت علية السيدة عائشة أم المؤمنين وهي تعوده فى لحظات عمره الأخيرة أن يدفن بدارها ، اعتذر حتى لا يضيق عليها دارها، وحياء منة أن يدفن جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ولقد صلى على عبد الرحمن بن عوف خليفة المسلمين وصديقه عثمان بن عفان ، الذى لم يفسد خلاف الرأى بينهما للود قضية، ودفن ابن عوف بالبقيع مع من سبقوه من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهكذا نري بطلنا عبد الرحمن بن عوف رضوان الله عليه نموذجا للبطل الفذ ، فلم يقعده عرجه عن الحركة، ولم يمنعه لثغه عن الخطابة ونصرة الحق وتلاوة كتاب الله، بل عمل بكل الجد والإخلاص ، متاجرا ومقاتلا ومعينا للمحتاجين ، ولم يتوقف عن العمل والمشاركة في حياة المسلمين الأول حتي آخر لحظة من عمرة ، والذي امتد للخامسة والسبعين ، وكل هدفه أن يرضى الله ويسعد من حوله .

بقي أن نشير ألي المر ، وهو أن اقرب الناس إلية ممن عاصروه لم يلحظ عرجه أو لثغه، بل أن أكثر كتاب السيرة، من الذين تناولوا صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، لم يذكروا شيئا عن عرج عبد الرحمن بن عوف أو لثغه. فكيف حدث ذلك ؟

كيف غاب أمر العاهة – بل العاهتين – عن عيون من شاهدوه ؟

.. وكيف غاب ذلك عن أقلام من أرخوا وكتبوا عنه ؟

إنه رد بسيط كل البساطة .....

هذا الرد يؤكد حقيقة أن الناس لا يقاسون بسلامتهم الجسدية فى المقام الأول، فمعيار قياس الرجال يكون بالعمال والتصرفات، فما بالكم بمقياس العظماء والأبطال من المسلمين الأوائل ؟

فالعمل الطيب، والكلام الحسن، كفيلان بان يحجبا أى عيب خلقى أو عاهة حديثة .

كما أن مثل هذه الإصابات والعيوب الجسدية لا تثني عزيمة الأبطال ، ولا تقلل من قدراتهم وإصرارهم بل تكون لهم الحافز من الجد والاجتهاد ، والتفوق لإثبات الذات وتأكيد الشخصية .

وبمثل هذا الإخلاص للحياة والحب للأحياء تتلاشي العيوب وتتغلب عليها المحاسن ، فلا تدرك العيون غير كامل ما هو جميل ، لأنها عيون محبة لهم ولأعمالهم ، ولا تردد الأفواه إلا لحسن من القول والعمل، وبهذا تسير سيرتهم عبر التاريخ ، تتناقلها الأجيال، جيلا بعد جيل ....

وبعد هذا جميعه فإن دراسة البطل تكون من ناحية سلوكه تجاه مجتمعه ، ومن هذا السلوك وايجابيته يكون الحكم علي الأبطال ، وتعرف أقدار الرجال .